د. خيرالدين دعيش

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي
جامعة سطيف 2

مقياس نظرية الأدب للسنة الثانية ليسانس

المحاضرة : نظرية التعبير (2) .

-وليم ووردزورث (1770-1850):

كتب ووردزورث ديوان (غنائيات) Yaracalballad بمعية صديقة كولريدج سنة 1798 ويعد الديوان بداية لمسار جديد للشعر، كما تعد المقدمة التي كتبها (ووردزورث من النصوص النقدية المهمة في تاريخ النقد الأدبي، ثم إن هذه المقدمة كانت الباعث وراء كولريدج لكتابة مؤلفه الشهير (سيرة أدبية) الذي يعتبر من أهم النصوص النقدية في التراث العالمي.

وتتبع قيمة ووردزورث في الشعر من فكرتين: شعر الطبيعة رد على الطبيعة الناقصة عند أفلاطون وأرسطو (الشعر البسيط)، لذلك كان يوصف بأنه شاعر الطبيعة كما كان شكسبير يوصف بأنه شاعر الانسان. يقول في مقدمة ديوانه (غنائيات): "إن كل شعر جيد هو فيض تلقائي لمشاعر قوية"، إن يركز هنا على أهمية الشعور في العمل الشعري، لكن عبارته (فيض تلقائي) قد تثير الكثير من التساؤلات حول الإرادة والوعي، لكننا يمكن أن نفهمها بأنها ردة فعل على نظرية المحاكاة، أي ربما تكون محاولة لتحطيم مفهوم الصنعة في الأدب أو مفهوم التأليف عن قصد، وعلى أية حال فإن ووردزورث يضيف بأن الشعور يضفي أهمية على العمل والموقف لا أن العمل والموقف يضفيان أهمية على الشعور، ذلك أن موجات الجزر والمد في العقل تحركها الميول العاطفية العظيمة والبسيطة في طبيعتها، ويرى بأن مشاعرنا وأفكارنا تترابط في حالة

من الاستثارة غير ا، الانفعال هو الذي يوجه السلوك وهو الذي بوجه العقل، لذلك فإن الشعر تعبير عن الانفعال.

وإذا كان الشع تعبيرا عن تدفق العواطف والانفعالات فإن اللغة التي تناسبه هي اللغة الطبيعية العادية التي توجد على ألسنة الطبقات الدنيا وأهل الريف الذين لم تفسدهم الحضارة، وقد رفض ما يسمى بالألفاظ الشعرية، بل إن الفرق عنده بين لغة الشعر ولغة النثر ليس كبيرا، والعواطف هي التي تعطي الموضوع المعالج معناه وقيمته، كما أن الموضوعات يجب أن تستمد من الحياة العامة والناس الريفيين والشعبيين: فالأحداث التي تحدث بالأماكن العامة لها طابع سحري، غير أن على الشاعر أن يلوّن هذه الأحداث بخياله.

كما يعتبر الشعر معالجة بارعة للمشاعر الإنسانية بهدف صحة الانسان العقلية والجسدية، فهو يهدف إلى تنشيط روح الانسان ويجعلها أكثر ديناميكية من خلال تسجيل الحقيقة بشكل مشوّق وممتع ومن خلال خلقه استثارة مصحوبة بالمتعة، فقيمة الشعر تنبع من قدرته على منح السعادة، هذه السعادة أو المتعة الحالية لا تحط من الشعر كفنّ، إنها معرفة جمال الكون، وهناك سبب واحد يجعل الشاعر قادرا على التعبير عن الحقائق العامة والفعالة، لأنه إنسان سعيد بعواطفه وإرادته الخاصة ولأنه أكثر من غيه يبتهج برضى الحياة الموجودة داخله، كما يمكنه أن يخلق هذه العواطف لم تكن موجودة فيه أصلا، يقول حول هذه المعاني في مقدمة ديوانه:

"وما الشاعر؟ إنه إنسان كسائر الناس ولكن الله حباه بنعمة الحماس ..... والحس المرهف والحنان العذب، إنه يفوق الناس علما بطبيعة الإنسان ويدرك من جوهر الحياة ما لا يدركه غيره، إنه إنسان فرح بما عنده من إرادة، طرب بما له من عواطف ...".

لذلك هو يتأمل هذه العواطف وتلك الإرادة وهي تتجلى في غيره من المخلوقات والكائنات ولقد اعتاد أن يخلقها حيث لا يجدها، يضاف إلى ملكاته أنه قد كوّن في نفسه العادة لأن يتأثر بما هو ليس موجودا كما يتأثر بالموجود وأن يجمع في نفسه عواطف بعيدة كل البعد عن هذه التي تحدثها الأحداث العادية ولكنها في الوقت نفسه تشبه هذه العواطف التي تثيرها الحياة العادية

أكثر مما تشبه الانفعالات التي تتولد عند الناس العاديين بفعل العقل وحده، لذلك ولأنه قد ..... كثيرا، نراه قد استعد استعدادا ممتازا لأن يعبر عما يحس وعما يفكر، ولأن يعبر بوجه خاص عن هذه الأفكار وتلك العواطف التي يختارها هو أو يختارها له ترتيب عقله، والتي تتفجر فيه دون أي مؤثر خارجي".

وعلى الرغم من أن ووردزورث يتفق مع صديقه كولريدج في انعدام المؤثر الخارجي أو تفاهة شأنه في الفنّ، فإنهما –كما تقول سهير القلماوي- مختلفان كل الاختلاف في عمق التفكير واتساع آفاقه مما جعل ووردزورث شاعرا ناقدا ملمّا بشي من موضوعات التفكير في عصره، وكولريدج صاحب نظرية.